

أساليب القرآن للفراهي والموازنة بينه وبين البرهان في علوم القرآن للزركشي

A COMPARATIVE STUDY BETWEEN ASĀLĪB AL-QURĀN BY 'ABD AL-HAMĪD AL-FARĀHI AND AL-BURHĀN FĪ 'ULŪM AL-QURĀN BY AL-ZARKASYĪ

Mohd Farid Ravi Abdullah

Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor (KUIS), Malaysia

Email: faridravi@kuis.edu.my

Abur Hamdi Usman

Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor (KUIS), Malaysia

Email: aburhamdi@kuis.edu.my

الكلمات المفتاحية:

أساليب، مقارنة، نظام القرآن، الزركشي، الفراهي.

المستخلص

وكان اختيار موضوع البحث عن أساليب القرآن الكريم، لما لهذا الموضوع من حاجة ماسة وأهمية بالغة تكمن في الآتي: الاستفادة من أساسيات علم اللغة وتوظيفها في دراسة أساليب القرآن الكريم اللغوية التي أفتحت السواد الأعظم من البشر بمبادئ هذا الدين بطريقتها الخاصة والمميزة التي تدعو إلى الاهتمام والدراسة لخصائصها؛ ولأنه قد لا يوجد بحث يوضح هذه المسألة التي نحن بأمس الحاجة إليها في خطاب الغير، بحيث يوضح طرق تكوين هذه الأساليب وخصائصها اللغوية؛ لأن الدراسات القرآنية اتسمت معظمها بالجمع بين كثير من المواضيع المتعلقة بعلوم القرآن دون إفراد لدراسة تُعنى بالتركيب اللغوية للقرآن الكريم. فالمؤلفات حول أساليب القرآن كثيرة؛ فهناك من كتب حول هذا الموضوع بصورة مستقلة، وهناك من جعله ضمن كتابه مثل ما فعل الزركشي. أما الفراهي فقد كتب حول هذا الموضوع بصورة مستقلة في كتابه "أساليب القرآن". فهذا البحث يعالج المنهج الذي سلكه الزركشي والفراهي في دراسة أساليب القرآن الكريم في كتابيهما في علوم القرآن. ولإنجاز هذا البحث جمعنا الكتب التي لها علاقة بالموضوع ولا سيما كتاب الزركشي "البرهان في علوم القرآن" وكتاب "أساليب القرآن" للفراهي، ثم قمت باستقراء ما فيها، وتحليل منهج الشيخين، واستخراج ما هو أصوب في فهم أساليب القرآن. وفي نهاية المطاف لهذا البحث وجدت أن الفراهي يربط أساليب القرآن بنظام القرآن الذي يمثل الوحدة الموضوعية للقرآن بكامله، ويحكم على الذي لا يفهم الأساليب في القرآن بأنه قد فات عليه فهم القرآن وتدبره، بيد أن الزركشي جعل موضوع الأساليب مستقلاً دون ربطها بالوحدة الموضوعية للقرآن الكريم.

Kata kunci :

Stylistic, Comparative, Coherence, al-Farahi, al-Zarkashi

ABSTRACT

This study focused on the techniques of the Qur'an, which is particularly selected due to the vital importance of making use of the linguistic techniques and employing them in studying the linguistic techniques of the Qur'an which have convinced the majority of people to accept the principles of this religion, Islam, through their distinctive features which call attention to their research. Besides, there is a lack of studies which investigated and explained the formation and structures of the techniques of the Qur'an, the techniques we are in dire need of to address others. It is noticed that the previous Qur'anic studies have been

*more concerned with focusing many topics related to the sciences of the Qur'an but no study has examined the linguistic structures of the Qur'an. Much research has studied the techniques of the Qur'an; for instances some researchers investigated this topic independently such as al-Farahī in his book *Asālib al-Qurān* while others, like al-Zarkashī, just discussed it in part of his book, *al-Burhān Fī 'Ulūm al-Qurān*. Therefore, the present study investigates the approaches used by al-Zarkashī and al-Farahī in studying the techniques of the Qur'an in their books related to the sciences of the Qur'an. To achieve the objectives of this study, the books related to the topic are collected and examined. Moreover, the approaches employed by al-Zarkashī and al-Farahī are analyzed and then the useful techniques which could be utilized for understanding the Qur'an are also identified. The findings of the study reveal that al-Farahī links the techniques of the Qur'an with the coherence of the Qur'an, which represents the objective unity of the whole Qur'an. It is also shown that al-Farahī believes that those who do not understand the techniques of the Qur'an have missed the understanding of and the reflection on the Qur'an. However, it is revealed that al-Zarkashī makes the linguistic techniques independent from the objective unity of the Qur'an.*

Diterima: 20 Juni 2020; **Direvisi:** 27 November 2020; **Disetujui:** 27 November 2020; **Tersedia online:** 18 Desember 2020.

How to cite : Abdullah, M. F. R. & Usman, A. H. (2020). أساليب القرآن للفراهي والموازنة بينه وبين البرهان في علوم القرآن للزركشي. *NUKHBATUL 'ULUM: Jurnal Bidang Kajian Islam*, 6 (2), 258-272. <https://doi.org/10.36701/nukhbah.v6i2.157>

المقدمة

فإن لعلم التفسير منزلة عظيمة ومكانة عالية بين العلوم الشرعية، نظرا ذلك فقد قام العلماء بخدمة هذا العلم من شتى نواحيه في كل مصر وعصر، ووقفوا لذلك حياتهم، منهم: المفسر الأديب، العلامة الجليل، المؤلف المكثّر، الإمام أبو أحمد عبد الحميد بن عبد المحسن الأنصاري الفراهي الذي كان يجمع بين التبحر في العلوم العربية والدينية، ومؤلفاته تبلغ واحدا وخمسين كتابا ومن تلك الكتب وأعظمها ما كتبه حول القرآن الكريم وتأويله وتفسيره، وفصاحته وبلاغته، ومفرداته، وكل ما يتصل به من العلوم القرآنية. فمن أهداف هذا البحث، إنه يسלט الضوء على دور علماء الهند في خدمة القرآن الكريم ويبرز أحد مؤلفات الفراهي في القرآن الكريم ألا وهو أساليب القرآن والمقارنة بالبرهان في علوم القرآن للزركشي لنعرف أيهما أحسن في كتابة موضوع أساليب القرآن؟ وأما منهج الذي اعتمدت عليه هو المنهج الاستقرائي والمنهج النقدي ومنهج المقارنة بالموازنة بين آراء الفراهي في أساليب القرآن و الزركشي في كتابه علوم القرآن. ولإنجاز هذا البحث تتبعت ببعض الدراسات

السابقة التي لها علاقة بهذا الموضوع، فمنها: جهود العلماء الهنود في تفسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري، للباحث محمد عزيز بن عبد المعين، ففي هذا البحث ذكر الباحث الفراهي ضمن مفسري الهنود بشكل عام، ولم يتناول جهوده في علوم القرآن. مصايح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، و ذكر الباحث في هذا البحث آراء الفراهي في علم المناسبة. حميد الدين الفراهي: حياته ومنهجه في تفسير القرآن وأثر ذلك في الهند، للباحث سيد سعيد أحسن العابدي، وهي رسالة الدكتوراه التي قدمها الباحث إلى جامعة الأزهر عام 1971م. ولم يقم الباحث بالمقارنة منهج الفراهي بغيره خاصة في علوم القرآن. مناسبات الآيات والسور: للأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات، وهو بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة في عددها لعام 2010م وفي الاتجاه الرابع تكلم عن منهج الفراهي في النظام هو جزء من المناسبات بين الآيات والسور في القرآن. فهذه بعض ما قرأت من الدراسات السابقة في خدمة الفراهي في التفسير وعلوم القرآن وأما أساليب القرآن للفراهي لم يدرس فيه أحد لاسيما المقارنة والموازنة في أساليب القرآن للفراهي بغيره.

والمقصود بنظمه طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وتناسقها، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ومن ثم استعمالها للدلالة على المعاني، بأوضح عبارة، وفي أعذب سياق، وأجمل نظم، والعرب وهم الفصحاء وهم أهل البلاغة والبيان قد بهرهم القرآن في نظمه، وسياق لفظه في كل خبر، وصورة كل عظة، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرًا عشرًا، وآية آية، فلم يجدوا إلا التناسق في التعبير، والتصوير وقوة التأثير الذي بهر العقول وأعجز الجمهور، ووجدوا إتقاناً وإحكاماً فلم تستطع العرب أن تأتي بمثله ولو كان بعضهم على بعض ظهيرا، حتى خرس الألسن عن أن تدعى وتتقول . فأسلوب القرآن مؤثر على العامة والخاصة، يقرؤه العالم فيدرك خصائصه وبلاغته، ويؤثر فيه بيانه، ودقة علومه ومعارفه ،ويقرؤه العامي فيشعر بجلاله، وحلاوته، فيخشع قلبه، وتدمع عينه، فينقاد له ويدعن، وأسلوب القرآن يؤثر على الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والملوك وسائر الناس، وهذا لا يكون إلا في القرآن العظيم بأسلوبه المؤثر في كل زمان وكل مكان .

البحث

المطلب الأول: ترجمة الفراهي والتعريف بكتابه "أساليب القرآن"

هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، حميد الدين، ولد الفراهي في قرية فريها، صباح يوم الأربعاء، سادس جماد الآخر، سنة 1280هـ. توفي الفراهي وهو يتلو القرآن الكريم في مدينة منثورا في شمال الهند في التاسع عشر من جماد الثانية سنة 1349هـ.¹ كتاب "أساليب القرآن" واحد من الكتب التي ألفها الإمام الفراهي في علوم القرآن، ولا يصلح أن يعد هذا الكتاب من تصانيفه الناقصة كما يظنه بعض الباحثين؛ لأن التصفح في هذا الكتاب يدل دلالة واضحة على أن الفراهي كان قد جمع إشارات وتلميحات وملاحظات في هذا الموضوع، ولكن لم تتح له فرصة لتسويدها، ولما توفي -رحمه الله- جمعت هذه المواد العلمية والتلميحات النافعة، ونُشرت في كتاب.

وكان الفراهي سمي هذا الكتاب بـ"كتاب الأساليب" بدلاً بـ"أساليب القرآن"؛ وذلك أنه ليس من قصده أن يخصه بالقرآن الكريم فحسب، بل كان يريد أن يكون أساس وضعه على أساليب كلام العرب، كما يقول: "هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصاً بالقرآن، ولكنه متضمن لفن برأسه، يجري حكمه في عموم أساليب كلام العرب، غير ما اختص بالقرآن لكونه منزلاً على رسول"⁽²⁾.

وأقرب ما يمكن أن هذا الاسم كان مذكوراً في مسودته، ويؤيد ذلك أن هذا الكتاب قبل الطبع كان مشهوراً على الألسن بكتاب الأساليب، وذكره الأستاذ أمين أحس الإصلاح في رسالة مطبوعة دورية بهذا الاسم، حيث قال: "كتاب الأساليب وأصول التأويل في صدد الطبع، وسيطبعان في أقرب وقت إن شاء الله"⁽³⁾.

(1) الإصلاح، شرف الدين، ذكر فراهي، الدائرة الحميدية، سرائر مير، ط: 1، ص: 13

(2) الفراهي، أساليب القرآن، ص: 6.

(3) انظر: شرف الدين الإصلاح، البلاغ بيلكيشنز، نيو دلهي 2001م، ص: 597.

وذكره أيضاً في مقدمة تفسيره "تدبر القرآن" بهذا الاسم حيث قال: "تتكشف بمطالعة القرآن الكريم، وأدب زمان نزول القرآن، أصول الحذف والإيجاز العديدة، رتبها أستاذي مولانا الفراهي وجمعها في كتاب له كتاب الأساليب"⁽⁴⁾.

ولا غرو أن الفراهي عندما يحتاج في أي كتاب من كتبه إلى ذكر مرجع هذا الكتاب فلعله أشار إلى هذا الاسم، إذ كان من قصده أن يكون أساس الكتاب على كلام العرب، لذلك سماه "كتاب الأساليب" ولم يسمه "أساليب القرآن"، ولكنه لم يستوعب هذا الموضوع، وكثيراً ما كتب في المسودة ما يتعلق بالقرآن الكريم، وما وجد من الأمثلة المتنوعة في أبواب متعددة وفصول مختلفة فهو مستقطب من آيات القرآن، بيد أن هناك أمثلة قليلة مأخوذة من كلام العرب، ولأجل ذلك قد تقرر عندي أن هذا الكتاب صار مسمى بـ"أساليب القرآن" بعد، لئلا يختلف الاسم والمسمى، ولئلا يتباعد العنوان والألوان، وقد نسب الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي هذا الاسم إلى هذا الكتاب⁽⁵⁾، وسببه واضح جلي، وأيضاً أشار العلامة سليمان الندوي إلى هذا الاسم في ذيل كتابه "إمعان في أقسام القرآن"⁽⁶⁾.

إن قصد الفراهي من خلال ما ألفه من الكتب في التفسير أو في فن آخر، لا يكون إلا تعبيد الطريق وتمهيد السبيل إلى فهم القرآن الكريم، وكما ختم الأستاذ كثيراً من الأمور المذكورة في كتابه لفهم القرآن، كذلك قد ألزم التطلع الواسع العميق على أساليب اللغة العربية وأساليب القرآن الكريم، ومراده هنا باللغة الأدب العربي الذي نشأ وترعرع في زمان نزول الوحي، ومن هذه الناحية لم يعتبر لغة المولدين لغةً يستند إليها أو يوثق بها، حيث يقول عن غاية هذا الكتاب، ما نصه: كما أن المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم مجرّمه ووجوهه، وكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها، فإن محض العلم بأسلوب خاص من دون تخصيص مواقعه، يفتح باباً عظيماً لسوء التأويل، مثلاً قالوا: إن كلمة

⁽⁴⁾ أمين الإصلاحي، مقدمة تدبر قرآن، فاران فونديشن، لاهور، ط1، 2009م، ج1، ص23.

⁽⁵⁾ الفراهي، مجموعة تفاسير فراهي، فاران فونديشن، لاهور، ط1، 1412هـ، ص44.

⁽⁶⁾ انظر ذيل كتاب "إمعان في أقسام القرآن"، ترجمة صاحب هذه الرسالة.

"لا" بما تأتي زائدة، فإهمال هذا القول أقرب إلى الضرر منه إلى النفع، فإنه يجعل النفي إثباتاً، فلا بد أن نعلم مواقع الأساليب، فنستدل على معانيها ولا نحو لها عن مواضعها الخاصة، ومن هذه الجهة اشتدت الحاجة إلى إقامة الحجة على هذه الدلالات، فإن ذلك جزء من معاني الكلام، والجاهل به كالجاهل ببعض المعاني لكلمة مشتركة، فلا يؤولها إلا إلى ما علم من معانيه وربما يكون المراد غيره"⁽⁷⁾.

ومما يدل على أهمية الكتاب وموضوعه ومحتوياته وما يحتله هذا الفن من مكانة عالية شامخة التصريحات والتعليمات التي ذكرت في هذا الكتاب، ولكن الأستاذ الفراهي لم يتحدث عن أهمية هذا الفن ولم يتناول هذه النقاط إلا بإيجاز واختصار، ولو قمنا باستعراض هذه النقاط لطال الكلام ولضاق المقام، ولم يثر كذلك علماء المعاني موضوع أساليب الكلام، إلا أن الفقهاء الأصوليين اقتبسوا من هذا الموضوع بعض القواعد والمسائل حسب ما ألجأهم الضرورة إليه، ولم يستطع هذا الفن أن يركز عناية عدد من الباحثين والمحققين رغم أنه يحمل في طيه أهمية بالغة قصوى، والإمام الفراهي هو أول من استشر أهمية هذا الفن في فهم القرآن، ولم ير بدأً أن يؤلف فيه تأليفاً مستقلاً، فلم يسبقه أحد في هذا الباب، والفضل في ذلك يرجع إليه، فليته أتم هذا الكتاب وفقاً لما كان تصوره، وما كان في الكتاب فهو ناقص، ورغم ذلك كله لا يمكن الجحود والإنكار بأهميته وإفادته، وهناك أمر يحتاج إلى الوضوح والبيان وهو أن من يريد المطالعة والاستفادة من هذا الكتاب فليعلم أنه ليس تأليفاً مستقلاً بل هي مجموعة من الإشارات والتلميحات، وهي تتوخى منه المعرفة التامة والاطلاع الواسع على أفكار المؤلف ونظرياته وميوله مع التفكير والتعمق والنظر فيها.

وقد تطرق كلام المؤلف في هذا الكتاب إلى أساليب الكلام ومواقع استعمالها المتنوعة مصحوبة بالأمثلة القرآنية عن طريق العناوين المختلفة التي يصل عددها إلى اثنين وثلاثين بعد وضع الأبواب والفصول التمهيدية، ولا يمكن الوصول إلى المعنى المراد الصحيح إلا بمعرفة هذه الأساليب ومواقع استخدامها.

(7) الفراهي، أساليب القرآن، ص 155.

ومما يجدر بالذكر أن الأمثلة المختلفة كلها في هذا الكتاب مقتبسة من القرآن الكريم، غير أن هناك أمثلة عديدة مأخوذة من أساليب كلام العرب، وتناول المؤلف الجرجاني⁽⁸⁾، والكسائي⁽⁹⁾، والفراء⁽¹⁰⁾، وابن تيمية، بدراسة نقدية، وإن نظرة سريعة على عناوين الكتاب ومحتوياته تكفي لمعرفة ذكاء المؤلف، وتوقد ذهنه، وتبحر علمه، وسعة مطالعته، وآرائه القيمة، وأفكاره السديدة، فجاء ككتاب مستقل بعينه يسلط ضوءاً على أساليب القرآن، ولكن كتاب الأساليب ينتظر عناية من الباحثين والمحققين.

المطلب الثاني: تعريف "البرهان في علوم القرآن" للزرکشي

أولاً: نبذة عن المؤلف

هو محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين أبو عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، محيي الدين الرحاوي ويقال له "بهاء الدين زاده": فقيه متصوف من الموالى الروميّة، معمر من أهل "بالي كسري". وُلد بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ولم يكد يجاوز سن الحداثة حتى انتظم في حلقات الدروس، وتفقه بمذهب الشافعي، وحفظ كتاب "المنهاج في الفروع" للإمام النووي، وصار يعرف بالمنهاج نسبة إلى هذا الكتاب. وجمع بين آداب الطريقة وعلوم الشرع. تولى من المناصب

(8) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. وله نحو خمسين مصنفاً، منها "التعريفات - ط" و "شرح مواقف الإيجي - ط" و "شرح كتاب الجعيني" في الهيئة، و "مقائيد العلوم - خ" و "تحقيق الكليات - خ" وغيرها. ولد سنة 740هـ وتوفي سنة 816هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص7.

(9) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قرأها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري سنة 189هـ، عن سبعين عاماً. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. انظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص283.

(10) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. سنة 144هـ وتوفي 207هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص145.

خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى. وأقام في القسطنطينية. وتوفي بمصر في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ودفن بالقرافة بالقرب من تربة بكنتمر الساقى⁽¹¹⁾.

وكان رضى الخلق، محمود الخصال، عذب الشمائل، متواضعاً رقيقاً، يلبس الخلق من الثياب، ويرضى بالقليل من الزاد، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا، أو شؤون الحياة. ومن مؤلفاته: "تفسير القرآن" و "شرح الفقه الأكبر"، و "شرح الأسماء الحسنى"، ورسائل كثيرة في التصوف. وكان يكتب مصنفاته بنفسه، وخطه جدا قل من يحسن استخراجها، ولهذا شاع في الكتب المنقولة عن خطه الغموض والإبهام والتحريف والتصحيف ولقي منه القراء والدارسون العناء الكثير⁽¹²⁾.

ثانياً: تعريف "البرهان في علوم القرآن"

يُعد هذا الكتاب من أجمع الكتب في علوم القرآن وأوسعها وأفضلها ، فقد ضمن خلاصة ما وصل إليه من علم التفسير في أكثر الجوانب التي عني بها، فتناول التعريف بعلم التفسير وعلوم القرآن، ومعرفة أسباب النزول، ومعرفة المناسبات بين الآيات، ومعرفة الفواصل ورؤوس الآي، وجمع الوجوه والنظائر، وعلم المتشابه، والمبهمات، وأسرار الفواتح والصور وخواتمها، ومعرفة المكى والمدني، ومعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل، ومعرفة على أي لغة نزل، ومعرفة جمعه وتدوينه ومعرفة تقسيمه بحسب سوره، وترتيب السور والآيات وعددها، ومعرفة أسمائه واشتقاقاتها وأسرار التقديم والتأخير، والتأكيد والمبالغة والحذف والإيجاز والإطناب والنكت البيانية والأنواع البديعية، والفروق في معاني المترادفات، وأسرار الكلمات التي ختمت بها الآيات إلى غير ذلك من النكت والأسرار.

فجاء هذا الكتاب فريداً في بابه، جامعاً لصفوة آراء العلماء المحققين، وأقوال المتقدمين، يقول محقق هذا الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة تحقيقه له منوهاً بنبوغ المؤلف

(11) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1376 هـ - 1957 م، ج1، ص3-13.

(12) انظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص60.

وفضله وسعة علمه كما يشيد بالكتاب: "كتاب البرهان في علوم القرآن الكريم وكتاب الله الخالد، قصره على سبعة وأربعين نوعاً كل نوع يدور حول موضوع خاص من علوم القرآن ومباحثه، يستأهل كل نوع أن يكون موضوعاً لمؤلف خاص حاول في كل موضوع أن يؤرخ له، ويحصى الكتب التي ألفت فيه، ويشير إلى العلماء الذين تدارسوه، فأشبع الفصول، وضم أقوال المفسرين والمحدثين إلى مباحث الفقهاء والأصوليين، إلى قضايا المتكلمين، وأصحاب الجدل، إلى مسائل العربية وآراء أرباب الفصاحة والبيان، فجاء - كما شاء الله - كتاباً فريداً في فنه، شريفاً في أغراضه مع سداد المنهج، وعذوبة المورد، وغزارة المادة، بعيداً عن التعمية واللبس نائياً عن الحشو والفضول"⁽¹³⁾.

ولو قمنا بعد ما جمع الكتاب من وجوه القيمة الفنية وميزاتها الكثيرة ظهر لنا ما يفوق الإحصاء، ويتجاوز الاستقصاء، لكن يجدر بأن ألخص هنا بعض الجوانب القيمة التي جال فيها يراع المؤلف العبقري وأتى فيها بالعجب العجيب، فنذكر فيما يلي بعض السمات البارزة للكتاب.

ثالثاً: العناية بالنواحي البلاغية في فهم أساليب اللغة

إن من بين وجوه إعجاز القرآن الكريم الصبغة البلاغية التي يتجلى بها، فهو نور من الكلام، أو كلام من النور، ولا عجب أن يكون كذلك، فهو تنزيل من حكيم حميد، ومن هنا فإن الإمام الفراهي الفاضل اهتم كثيراً بتجلية النواحي البلاغية في المباحث التي يستعرضها، أحياناً من قبل نفسه، وأحياناً كثيرة فيما ينقله عن الآخرين.

وحيث إن علم البلاغة يشتمل فنوناً ثلاثة وهي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، فإن الإمام الفراهي ظهر اهتمامه بكل ذلك وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

(1) علم البيان: لقد ذكر الإمام الفراهي ما يندرج تحت هذا من أنواع متعددة، وإليك بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر: الاستعارة، والمجاز، والكناية المرشحة، والتشبيه وأنواعه، والتورية والاستخدام والفرق بينهما، فقد فصل المؤلف القول في جميع هذه الأقسام البيانية، وأكد على ورودها في القرآن، ورد ذلك على من أنكرها، فقال الإمام الفراهي في مبحث

(13) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 12

الاستعارة: "هي من أنواع البلاغة، وهي كثيرة في القرآن، ومنهم من أنكره، بناءً على إنكار المجاز في القرآن"⁽¹⁴⁾.

ثم يذكر الإمام الفراهي أمثلة الاستعارة في القرآن وحقيقتها وحكمتها فيقول: "وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو بحصول المبالغة أو للجموع.

فمثال إظهار الخفي قوله تعالى: " (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ)"⁽¹⁵⁾، فإن حقيقة أنه في أصل الكتاب، فاستعير لفظ "الأم" للأصل، لأن الأولاد تنشأ من الأم، كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمبرئي حتى يصير مرئياً، فينقل السامع من حد السماع إلى حد العيان، وذلك أبلغ في البيان"⁽¹⁶⁾.

(2) علم البديع: لقد حفل كتاب البرهان في علوم القرآن "بالأنواع الكثيرة التي يتضمنها هذا العلم، ومنها: التجنيس، والطباق، والمقابلة، ورد العجز على الصدر وعكسه، وإلجام الخصم بالحجة، والتذييل.

فبسط الإمام الفراهي الكلام في تعريفه، وأنواعه، بجانب ذكر الخلاف بين العلماء إن كان هناك، فانظر على سبيل المثال أنه ذكر التجنيس وأمثله من القرآن ثم رد خلاف ابن أبي الحديد في إثبات التجنيس في الآية الكريمة: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)"⁽¹⁷⁾، يقول: "نزع ابن أبي الحديد"⁽¹⁸⁾ في الآية الأولى،

(14) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص432

(15) سورة الزخرف:4.

(16) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص433

(17) سورة الروم: 55.

(18) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: 656هـ)، الفلك

الدائر على المثل السائر، (المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة)، دار نفضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة.

القاهرة، ج1، ص51.

وقال: عندي أنه ليس بتجنيس أصلاً، وأن الساعة في الموضوعين بمعنى واحد، والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ولا تكون إحداها حقيقة والأخرى مجازاً، بل تكونان حقيقتين، وإن زمان القيامة - وإن طال - لكنه عند الله تعالى في حكم الساعة الواحدة، لأن قدرته لا يعجزها أمر، ولا يطول عندها زمان، فيكون إطلاق لفظة الساعة على أحد الموضوعين حقيقة وعلى الآخر مجازاً، وذلك يخرج الكلام من التجنيس، كما لو قلت ركبت حماراً، ولقيت حماراً، وأردت بالثاني البليد، وأيضاً يجوز أن يكون المراد بالساعة الساعة الأولى خاصة، وزمان البعث، فيكون لفظ الساعة مستعملاً في الموضوعين حقيقة، فيخرج عن التجنيس.

(3) الاستشهاد بالشعر: لم يكن خافياً على المؤلف دور الشعر في فهم القرآن الكريم وتفسيره، وفي توضيح المعاني، لذلك ذكر المؤلف الشواهد الشعرية كما استشهد المؤلف بالشعر في قضية ورود البعض وإرادة الكل، يقول: "ويجوز أبو عبيدة ورود البعض وإرادة الكل، وخرج عليه قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)¹⁹ أي كله⁽²⁰⁾، وقوله تعالى: " (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم)"⁽²¹⁾.

وأنشد بيت لبيد:

تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا * أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النُّفُوسِ حَمَامَهَا⁽²²⁾

(19) سورة الزخرف: 63.

(20) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:2، ص:334

(21) سورة غافر: 28.

(22) الموسوعة الشعرية، معلقة لبيد بن ربيعة العامري، ج:11، ص:3.

المطلب الثالث: الموازنة بين "أساليب القرآن" للفراهي وبين "البرهان في علوم القرآن" للزركشي
من خلال استعراض الكتابين، فإننا نجدهما مشتملين على مباحث مهمة وفوائد جلييلة، بحيث يتوافق كلاهما على غاية شريفة وهدف نبيل، وهو خدمة القرآن الكريم، وتمهيد السبل للتوصل إلى ما يتضمنه من اللطائف والأسرار المكنونة، كما يهدف إلى توضيح الآيات وتفسير البيئات، ونجد كذلك تباين منهج العرض والاستدلال والترتيب والاختلاف في المباحث القرآنية.

الأول: فإن كتاب الفراهي كما سبق أن قلتُ إنه عبارة عن رسالة وجيزة تتحدث عن عموم أساليب كلام العرب، ويقصد إحاطة العلم بدلالات الصور والأساليب، ومواقع استعمالها، كما صرح بذلك الفراهي رحمه الله في بداية كتابه حيث قال: "كما أن المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمه ووجوهه، فكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها"⁽²³⁾.

أما كتاب الزركشي فهو بمثابة الأمهات للكتب المؤلفة في الدراسات القرآنية، ومن ميزاته البارزة: الجمع والاستيعاب والشمول، مع أجود الترتيب والتبويب، وهو في أربعة مجلدات ضخمة يجمع ما قاله الأئمة الأعلام في هذا الفن سواء كانوا مفسرين أم محدثين أم أصوليين أم لغويين أم بلاغيين، فيبدو الزركشي في كتابه كأنه يتوخى من خلال كتابه التعرض لجميع المباحث القرآنية واستيعابها بعقلية موسوعية. أما الفراهي فقد اقتصر على مبحث قرآني محدود، وناحية مخصوصة من الكلام الإلهي.

الثاني: تصدى كلا الكتابين للمباحث القرآنية والأساليب البيانية من أسلوب الخطاب والالتفات، ومواقع الحذف والعود على البدء، والوصل والفصل والتذييل، إلا إذا أمعنا النظر بين الكتابين نجد أن الفراهي أقدر من الزركشي على تفسير مكنونات صدره وإثبات رأيه بكثير، كما أن الفراهي يمتاز أيضاً عن الزركشي في الإتيان بنكت شريفة ولطائف دقيقة، والتي لم أجدها عند الزركشي في "البرهان"، انظر في هذا المقال: "مبحث القرآن والوصل"، والفرق بينهما في كتابه الأساليب، وهو

(23) الفراهي، أساليب القرآن: ص 9.

يدل على عقلية الفراهي المبتكرة، وطبيعته المخترعة المتوقدة، أما الزركشي فهو يقتصر على الاهتمام بنقل الآراء عن الآخرين أكثر من الاهتمام بالاختراع والابتكار.

الثالث: نجد ذكر مبحث الالتفات في الكتابين كليهما بغاية من الإسهاب والتفصيل فقد توسّع المؤلفان كلاهما في بسط الحديث عن الالتفات وتقديم الأمثلة والأدلة من كلام العرب الأولين، وأساليب بيانهم، إلا أن الفراهي يتفوق على الزركشي بذكر الفوائد والحكم الخفية من مجيء الالتفات في القرآن الكريم، يقول الفراهي وهو يذكر فوائد الالتفات: "اعلم أن الالتفات في القرآن كثير جداً في كلام العرب، ومن فوائده العامة: انتباه السامع، ومنها إحضار البعيد، ومنها شدة الخطاب، ومنها صرف التوجه عن السامع تصغيراً له وإعراضاً عنه، ومنها صرف الخطاب الشديد إلى أكبرهم، ومنها التعريض بمن يتوقع منه الإنكار أو الكراهية، والالتفات من مخاطب إلى مخاطب، والالتفات لتنويع المعنى والالتفات لإرادة التوبيخ"⁽²⁴⁾.

هذه بعض أهمّ جهود الإمام الفراهي في مجال الدراسات القرآنية، وقد خصصت في هذا الفصل بما كان يتعلق منها بعلوم القرآن فقط، حتى أقوم بالموازنة بين كتب الفراهي فيها وبين ما كتبه فيها المؤلفون السابقون، مع إبراز خصائص مناهج كل منهم في كتبهم.

الخاتمة

1. إن الإمام الفراهي هو من العلماء القلائل في الهند، الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والغربية، ولذلك كانت شخصيته مرجعاً كبيراً لكثير من المثقّفين المسلمين من عُلية القوم.
2. إن الإمام الفراهي عرف في طفولة حياته، بفرط الذكاء، ونفاد البصر، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط، وغزارة العلم، وسعة الاطلاع، فكان عالماً ذا ثقافة واسعة متنوّعة.
3. إن منهج الإمام الفراهي في مؤلفاته يختلف عن منهج عامة المؤلفين الذين إذا عزموا على تأليف كتابٍ جمعوا في أول وهلةً مادةً موضوعه، ثم رتّبوها في صورة كتابٍ. أما الإمام الفراهي فله مذهب خاص به، وأنه إذا شعر بحاجةٍ إلى الكتابة أو التأليف في موضوع ما، أو حلّ

(24) الفراهي، أساليب القرءان، ص 170.

مشكلة من المشكلات في مسألة علمية؛ فكانت الموضوعات في ذلك الموضوع تتمثل بين عينيه. وهو يُدِيم النظرَ والبحث فيها، فإذا حَقَّق مسألةً، أو حلَّ معضلةً، أو أحكم رأياً؛ قيَّد ذلك وكتب عليه: "من كتاب..."، حتى إذا اكتملت جوانب البحث أقبل على تأليفها وتنسيقها، لذلك كان يُؤلِّف كتباً عديدةً في وقت واحد، ولهذا السبب بقي أكثرُ مؤلفاته ناقصةً.

4. أنه لا يكرِّر في مؤلَّفاته ما قاله الآخرون دون الوقوف عندها وقفات في غاية الحسن والنفع.
 5. إن أسلوب الإمام الفراهي في مؤلَّفاته كان يتسم بالجرأة والثقة بالنفس في مناقشة المسائل.
- إن الإمام الفراهي بدراسته العميقة للغة العربية وأدائها وعلومها قد صار عربياً في التعبير والتحرير وصار ذوقه الأدبي كالعرب الخالص. ولكن مع كل هذه المزايا التي تجسدت في شخصيته كانت مزية أخرى قد تغلبت تلك المزايا كلها وهي حب القرآن الكريم فوق كل شيء. ولن يشعر بعظمة هذا القرآن إلا من كان عربياً خالصاً.

المراجع و المصادر

- Al-‘Āmirī, A. A. (2004). *Dīwān labīd ibn Rabī‘ah al-‘Āmirī*. Beirut: Dar al-Ma‘rifah.
- Al-Farāhī, A. H. (1992). *Majmū‘ah Tafāsīr Farāhī*. Lahore, Pakistan: Paran Foundation.
- Al-Farāhī, A. H. (1994). *Im‘ān fī Aqsām al-Qur‘ān*. India: al-Da’irah al-Hamidiyah.
- Al-Farāhī, A. H. (2011). *Asālib al-Qur‘ān*. India: al-Da’irah al-Hamidiyah.
- Al-Iṣlāhī, A. (2009). *Muqaddimah Tadabbur al-Qur‘ān*. Lahore, Pakistan: Paran Foundation.
- Al-Iṣlāhī, S. (2001). *Rā‘id al-Fikr al-Iṣlāhī*. New Delhi, India: Balagh Publication.
- Al-Muznī, Z. A. (1988). *Dīwān Zahīr ibn Abī Salmī*. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.



NUKHBATUL 'ULUM : Jurnal Bidang Kajian Islam
Vol. 6, No. 2 (2020) : Hal. 258-272

Website: <https://journal.stiba.ac.id>
ISSN : 2685-7537 (online); 2338-5251 (Printed)

Al-Zarkashī, B. M. (1957). *Al-Burhān Fī 'Ulūm al-Qur'ān*. Beirut:
Dar al-Ma'rifah.

Al-Zirkilī, K. M. (2002). *Al-A 'Iām*. Beirut: Dar al-'Ilm li al-Malāyīn.